



ليس هناك إنسان بكمال عقله يمكن أن يشكك في مشروعية الثورات العربية، فهي ثورات مستحقة ومطلوبة منذ زمن طويل، لخلص العالم العربي مما لحق بشعوبه من ظلم وطغيان وقهر وقمع، لكن الواقع ثبت لنا يوماً بعد يوم في كل بلدان الربيع العربي، بأن منطقتنا ما زالت في واقع الأمر تتعرض لمحاولات استعمارية تخريبية عن بعد، لعرقلة أي مشاريع تنمية نهضوية تنقل شعوب هذه المنطقة من مرحلة التبعية والتخلف إلى مرحلة الاستقلال الحقيقي والتحرر.

ولعل أكبر دليل على ذلك أن كل الثورات تقريباً تعرضت، وما زالت تتعرض لعمليات تخريب وتشويه لا تخطئها عين لإفشالها وإعادة الشعوب التي ثارت إلى زريبة الطاعة بوسائل بات يعيها القاصي والداني.

وحتى لو لم تكن أيادي الاستعمار واضحة في بلادنا، إلا أن القوى الاستعمارية القديمة ليست سعيدة بأي تحولات حقيقة في هذا الجزء الاستراتيجي من العالم، وبالتالي، ليس من المستغرب أن تلجم إلى أحرق الطرق والوسائل بالتعاون مع عمالئها التاريخيين في المنطقة لضرب أي مشاريع تحررية حقيقة قد تنتج عن الربيع العربي.

وقد لاحظنا كيف يتكالب القاصي والداني على الثورات التونسية والمصرية واليمنية واللبيبة والسورية بشكل مفضوح، والهدف أصبح واضحاً للجميع، ألا وهو تحويل مسارات الثورات العربية من مشاريع تحرر إلى مشاريع دولية تعود بنا إلى المربع الأول، إن لم نقل إلى الصفر الاستعماري، وهي مرحلة تبدو مراحل الطواغيت الذين سقطوا مؤخراً بالمقارنة معها مراحل ذهبية.

يحاول الكثير من القوى بالتوافق مع أزلامها في منطقتنا منذ بداية الثورات، ليس فقط حرف الثورات عن مسارها وإغراقها بالدماء والتطرف، بل بتحويل حياة الشعوب التي ثارت إلى جحيم لا يطاق، بحيث يضغطون على الشعوب كي تكفر بالساعة التي فجرت فيها الثورات.

وتحقق القوى الشيطانية من خلال هذه السياسات التخريبية هدفين في آن واحد:

الهدف الأول: يتمثل في تحبيط الشعوب وإعادتها إلى بيت الطاعة لعقود وعقود.

والهدف الثاني: يتمثل في إعادة رسم خرائط المنطقة وتقسيم النفوذ بين القوى العالمية الصاعدة.

ولعل أكبر دليل على ذلك، هذا الصراع الدولي المحتدم على الأرض السورية الذي يعمل ليس فقط على تحويل الثورة السورية إلى جهنم بالنسبة للسوريين، بل يعمل ربما أيضاً على تشطير سوريا، بحيث يقوم بتجزئة المجزأ وتقسيم المقسم. لقد أصبح موضوع التقسيم في سوريا موضوعاً متداولاً على نطاق واسع في الدوائر السياسية والإعلامية، مع العلم أن آخر ما يريده السوريون أن يخسروا وطنهم بعد أن خسروا مئات الآلاف من الضحايا، ناهيك عن تهجير نصف الشعب وأكثر. على ضوء التكالب الدولي على الثورات العربية، أصبح من الواجب التحذير من مغبة حدوث ما حدث للعرب بعد الثورة العربية الكبرى، عندما خدعتنا القوى الاستعمارية القديمة، كفرنسا وبريطانيا وروسيا، وبدل أن تفي بوعودها المعسولة في الحرية والاستقلال، قامت بتمزيق المنطقة إلى دويلات وكيانات هزيلة بموجب الاتفاقيات الشيطانية الشهيرة "سايكس-بيكو". هل تريد القوى التي تتباهى على ضحايا الثورات وتنادي بتحقيق أهدافها، هل تريد لنا الحرية فعلاً، أم إنها تفعل ما فعله أسلافها عام 1916م، عندما كان الانكليز يحرّضون العرب على الثورة، بينما كانوا في واقع الأمر يعملون على تقسيم المنطقة بين القوى الاستعمارية المختلفة؟

في الفترة الواقعة بين 1914-1918، كان "السير هنري مكماهون" يبحث الشريف حسين في مكة على قيادة الثورة ضد العثمانيين واعداً العرب وقتها بالحرية والكرامة والاستقلال، بشرط أن يساعدوا فريق الحلفاء في إسقاط الخلافة العثمانية، وكلنا يتذكر "لورانس" العرب الشهير الذي دخل في صداقه شخصية عميقة مع الشريف حسين وأولاده، وخاصة (فيصل). لقد أقنع لورانس العرب وقتها بأنه يناصر ثورتهم بحرارة، ويريد لهم فعلاً والانتعاق من نير العثمانيين، بينما كان يدرِّي في الآن ذاته بأن من أرسلوه للشريف حسين كانوا يعلمون من وراء الكواليس على تقطيع أوصال المنطقة وابتلاعها، وفي الوقت الذي كان فيه الانجليز يدفعون العرب إلى الثورة ويعدونهم بالتحرر.

كان سايكس وبيكو الانكليزي والفرنسي ومعهما روسيا طبعاً، كانوا يقسمون تركية "الإمبراطورية العثمانية" فيما بينهم بطريقة غاية في الوضاعة والحقارة، خاصة وأن سايكس وبيكو لم يزورا المنطقة العربية أبداً، ولا يعرفان شيئاً لا عن طبيعتها، ولا عن طبيعة أهلها وتركيبتها السكانية، مع ذلك قاما بالتعاون مع روسيا بتقسيمنا بطريقة لا يقبلها أي شخص في رأسه ذرة عقل، ولি�تهم اكتفوا "بسايكس-بيكو"، بل كانت بريطانيا من وراء الكواليس أيضاً تتفاوض مع الصهاينة على وطن لهم في فلسطين، وهو ما حصل عليه الصهاينة فعلياً عام 1917 م.

نرجو أن لا يعيد التاريخ نفسه هذه المرة كمأساة فظيعة، إذ نجداليوم وضعًا لا يختلف كثيراً، فأمريكا تتناظر بالوقوف إلى جانب الثورات العربية، بينما في الخفاء يعقد "لافروف وكيري" صفات سرية لا يعرف غير الله محتوياتها، ولعل أخطرها ما يسمى باتفاق (كيري- لافروف)، خاصة وأن البعض وصف ذلك الاتفاق بشأن سوريا والمنطقة عموماً بأنه أسوأ من ساكس-بيكو القديمة.

لكن نعود، ونكر أن هذا الكلام ليس الهدف منه التشكيك في الربيع العربي، فهو ربيع مطلوب، لا بل طال انتظاره، لكن ما أخشى منه أن يتم استغلال هذا الربيع المشروع وتحويله إلى مشاريع دولية قدرة تكون فيها أكبر الخاسرين (الله أشهد أني **بلغت**).
الله أشهد أني

المصادر: